الإهـــداء

إلى طالباتى وطلابى فى كلية دار العلوم ،
و إليهم فى قسمى اللغة العربية فى كليتى الآداب والتربية فى جامعة الزقازيق،
إلى الذين تخرجوا منهم ومن لا يزالون على الطريق ،
و إلى رفاقى وأصدقائى و زملائى . . .

عرفاناً باقياً بما غمرونى من مشاعرهم الدافئة ، وعواطفهم الكريمة الصادقة ، إبان وحدتى مصاباً ، فكانوا العزاء والسلوى ، والأنيس والسمير ، والعضد والساعد ، ومع نبل مواساتهم إجتزت المحنة إلى بر السلامة والأمان .

إليهم جميعاً : . . شاكراً ومقدراً وممتناً !

كلمة :

يضم هذا الكتاب مجموعة متفرقة من الدراسات ، ولكنها تتلاقى فى موضوعها ، فهى تدور حول الأندلس ، حضارته وأدبه وفكره وتاريخه ، بعضها حرره المؤلف ، والبعض الآخر ، وهو الأقل ، ترجمه لعدد من كبار المستشرقين الإسبان ، وهم شركاؤنا فى هذا التراث ، ويكتبون — فى مجلتهم — بروح موضوعى حين يعرضون له ، قدْر ما تسمح لهم به ظروفهم :

بعض الدراسات التى قمت بها نشر فى عدد من المجلات المتخصصة ، فى مصر أو فى بقية العالم العربى ، وآثرت جمعها فى كتاب لأن المجلات بحكم طبيعتها ، ونتيجة ما انتهى إليه العالم العربى من فرقة محزنة ، وقطيعة مدمرة ، إذا بلغت قطراً منه لا تبلغ الآخر ، وينتهى وجودها بعد صدورها بأيام ، ولكن الكتاب أفضل قدَراً ، فهو ينتظر الراغب لسنوات ، ومن يطلبه يجده ، وإذا نفد يعاد طبعه ، ورغم كل المصائب لا تزال العلاقة بين الشعوب العربية بعامة ، وبين المثقفين منهم بخاصة ، تسير فى طريقها نحو الوحدة ، ولا صلة لها بالسياسات الرسمية ، وهى قصيرة النظر ، وتقوم على الأنانية المفرطة ، إنهم يتلاقون ويتفاهمون ، يحاورون ويتناقشون ، يتفقون ويختلفون ، ولكنهم فى نهاية المطاف أبناء أمة واحدة ، وأخوة متحابون ، رغم كل الضواغط الظاهرة والخفية ، لأن الغاية واحدة ، والهدف مشترك ، وإن اختلفت الوسائل وتباينت وجهات النظر .

قد تختلف المناهج فى دراسة عنها فى أخرى ، تبعاً لاختلاف اللحظة ، وتباين النظرة ، وقد يعرض للفكرة الواحدة ، مجملة أو مفصلة ، كاتبان أو أكثر ، وقد ترد فى دراستين ، فيصبح معنا أكثر من وجهة نظر ، فى انتظار من يرجح بإحداهما ، أو يضيف إليها جديداً ، فى ضوء ما يجد كل يوم ، من مخطوطات لم تنشر من قبل ، ووثائق اكتشفت حديثاً ، وقد تتكامل الدراسات فيما بينها ،

فتمس إحداها جانباً من الموضوع ، وتمس الثانية جانباً آخر ، وبالجملة فإن هذه الدراسات تقدم فى مجموعها صورة متكاملة لبعض جوانب الحياة الفكرية فى إسبانيا ، أيام كانت تتحدث العربية وتدين بالإسلام .

أما المستشرقون الذين اخترت لهم بعض دراساتهم فأربعة :

خوليان ريبيرا : Julian Ribera (١٨٥٨—١٩٣٤) ، وكان أمة وحده فى عالم الأندلسيات ، لم يكن مجرد مستشرق فحسب ، وإنما كان باحثاً عظيما ، ومؤرخاً قديراً للثقافة الإسلامية ، ومفكراً أصيلا ، وأستاذاً بكل ما تحمل الكلمة من جلال ، رغم الظروف القاسية التى عمل فيها ، فجل مصادر الأندلس على أيامه كانت مخطوطة ، والمطبوع منها أسوأ من المخطوط ، وقليل جداً منها كان يبلغ إسبانيا . وقد اخترت له دراستين ، أولاهما دراسة موازنة بين كتابى : **تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية** ، **وكتاب أخبار مجموعة لمؤلف مجهول** ، وفيها يقدم المثل واضحاً للباحث المقتدر فى تحليل النصوص واستنطاقها ، والوصول إلى هوية المؤلف المجهول ، ملامحه وصفاته وأصوله ومعتقده وموطنه ، وإن جهلنا اسمه ، ولا أهمية لهذا فى تقويم محتوى الكتاب . وكانت دراسته الثانية عن « **الأصول العربية لفلسفة رايموند لوليو** » ، وهى الأولى فيما أعلم ، وحسبك به رائداً فى هذا المجال .

وأما الثانى فهو **ميجيل أسين بلاثيوس** Miguel Asin Palacios (١٨٧١—١٩٤٣) ، وهو تلميذ خوليان ريبيرا ، ومنه تسلم الراية ، ووقف حياته على دراسة الفلسفة الإسلامية بعامة ، وفى الأندلس بخاصة ، وكان دوره فيها عظيما ورائعاً : ترجم روائعها إلى الإسبانية ، ونشر عدداً من مخطوطاتها المجهولة ، وتتبع روافد العطاء والأخذ بينها وبين الفلسفة الأوربية ، ولا يدانيه فى عمق تمكنه منها أحد من المستشرقين . غير أننا يجب أن نضع فى الاعتبار دائماً أنه كان راهباً من رجال الكنيسة الكاثوليكية فى إسبانيا ، وفى أظلم أيامها ،

يخضع نشاطه ودراساته وكل ما ينشر لرقابة الكنيسة مسبقاً ، وموافقتها بدءاً ، وهو بحكم وضعه ملزم بخدمة أهدافها ، كما يتلقاها من رؤسائه ، ولا حرية له فى رفض ما يطلب منه أو تركه أو انتقاده ، ومن ثم فحين نجد بين تعابيره ، وهو قليل ، مالا ترتاح إليه نفوسنا دينياً ، أو علمياً ، فلنعذره ، فلغيرنا كان يكتب ، وربما من أجل هذا القليل سمحوا له بالنشر ، والجليل الذى أبدعه فى هذا المجال يشفع له ، ويجعله دائماً موضع الاحترام والتقدير منا . وقد اخترت له دراسة قيمة عن زاهد ألمرية «**أبو العباس بن العريف وكتابه محاسن المجالس**» وهو صوفى مجهول بيننا ، رغم أن كتابه سبق أن طبع فى القاهرة منذ خمسة وثمانين عاماً ، وقام بلاثيوس نفسه بطبع الكتاب بالعربية ، وترجمه إلى اللغة الإسبانية فى مدريد عام ١٩٣١ م . وهو لا يقف عند الزاهد وحده ، وإنما يلقى بعض الضوء على الحياة الثقافية فى مدينة ألمرية ، وازدهرت حيناً وتنوعت ، ولو أن التاريخ جار عليها ، فلم يعطها من العناية ما أعطى قرطبة أو إشبيلية أو غرناطة أو حتى طليطلة .

وكانت الدراسة الثالثة للعالم الجليل **أنخل جونثالث بالنثيا** Angel Gonzalez Palencia (١٨٨٩ — ١٩٤٩) ، صاحب الكتاب الرائع عن الأدب الأندلسى ، والدراسات المهمة عن المستعربين فى طليطلة ، فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين ، ودراسات أخرى كثيرة ، تتميز بالدقة والعمق ، والأصالة والموضوعية ، واخترت له دراسة عن « **الشعر العربى وتأثيره فى الشعر الأوربى** » ، وهو بحث مركز ، وملهم ومستنير ، ويفتح أمام الراغب فى هذا المجال احتمالات كثيرة ، ويضىء له ، فى طريقه ، جوانب عديدة .

ولكى تكون صورة الحياة الفكرية فى مدينة ألمرية واضحة لدينا ، بعض الشىء على الأقل ، اخترت دراسة عن شاعرها **ابن خاتمة** ، للمستشرقة الإسبانية الفاضلة الدكتورة سوليداد خيبرت Soledad Gibert ، وهى أستاذة الأدب العربى فى كلية الآداب بجامعة مدريد المركزية ، وفيها تخرجت ، ومنها

حصلت على الدكتوراة ، ثم عملت حتى أعوام قليلة خلت أستاذة بكلية الآداب فى جامعة برشلونة ، وتخصصت فى دراسة الحياة الفكرية والأدبية فى مدينة ألمرية ، ووقفت جهدها على تتبع النشاطات الثقافية المختلفة فى هذا الثغر الأندلسى الهام ، خلال القرون الثلاثة الأخيرة من حياة الإسلام الإسبانى . وقد حققت ديوان ابن خاتمة ، وترجمته إلى اللغة الإسبانية ، وقدمت للترجمة بدراسة ممتازة عنه ، وعربتُ هذه المقدمة لما تتسم به من عمق التناول ، ومنهجية البحث ، وأناة فى حل مشكلاته ، وصبر دءوب على تتبع قضاياه ، وصدق وإخلاص جديرين بكل تقدير وإجلال. ولها إلى جانب هذا أبحاث أخرى عن ابن خاتمة نفسه ، وعن غيره من العلماء الذين ارتبطوا به بسبب أو بآخر .

أما منهجى فى التعريب فعرضت له أكثر من مرة فيما نشرت من أعمال أخرى ، وحسبى أن أشير هنا إلى أننى التزمت الأمانة فى النقل ، وحرصت على الأصل نصاً وروحاً ، ولم أتدخل معلقاً أو معقباً إلا فى حالات قليلة حين تستدعى الضرورة العلمية هذا ، وجل هذه التعليقات جاءت فى الهامش تعريفاً بأعلام أوربية لا يعرف القارئ العربى المتوسط الثقافة عنها شيئاً ، ومهما يكن فقد أشرت إلى ما أضفته فى كل الحالات صراحة ، أو وضعته بين معقوفتين .

وبعد ، فأدع هذه الدراسات تواجه القارئ بنفسها ، ليقول فيها رأيه ، وغاية أملى أن يرضى عنها ، وأن يحس معها أنه عرف جديداً ، وتعلم شيئاً ، وتذوق جمالا ، ولم يضع وقته عبثاً .

وإن جاءت دون ما يتمنى فبحسبى أننى ما أبقيت من جهدى شيئاً . وعند الله المثوبة ، وبه التوفيق ، ومنه الهداية .

الطاهر أحمد مكى

٣٩ شارع المراغى ــ العجوزة
القاهرة الكبرى
١٠ من ذى الحجة ١٣٩٩ هـ
٣١ من أكتوبر ١٩٧٩ م

ص . ب ١٩٠٤
البريد العمومى
القـــاهرة